الأمر الثاني والعشرون: التلَقِّي عن الْمُبْتَدِعِ :

احْذَرْ (أبا الْجَهْلِ) المبْتَدِعَ ، الذي مَسَّهُ زَيْـغُ العَقيدةِ ؛ وغَشيَتْهُ سُحُبُ الْخُرافةِ ؛ يُحَكِّمُ الْهَوَى ويُسَمِّيهِ العَقْلَ ، ويَعْدِلُ عن النَّصِّ ، وهل العَقْلُ إلا في النصِّ ؟! ويَستمْسِكُ بالضعيفِ ويَبْعُدُ عن الصحيحِ ، ويُقالُ لهم أيضًا : (أهلُ الشُّبُهَاتِ) (وأهلُ الأهواءِ) ولذا كان ابنُ المبارَكِ رَحِمَه اللهُ تعالى يُسَمِّي المبتَدِعَةَ (الأصاغِرَ) .

وقالَ الذهبيُّ رَحِمَه اللهُ تعالى : (إذا رأيتَ المتكلِّمَ المبْتَدِعَ يَقولُ : دَعْنَا من الكتابِ والأحاديثِ وهاتِ (العَقْلَ). فاعْلَمْ أنه أبو جَهْلٍ وإذا رأيتَ السالكَ التوحيديَّ يَقولُ : دَعْنَا من النقْلِ ومن العَقْلِ وهاتِ الذَّوْقَ والوَجْدَ ؛ فاعْلَمْ أنه إبليسُ قد ظَهَرَ بصورةِ بَشَرٍ ، أو قد حَلَّ فيه ، فإن جَبُنْتَ منه فاهْرُبْ ، وإلا فاصْرَعْهُ وابْرُكْ على صَدْرِه واقْرَأْ عليه آيةَ الكُرْسِيِّ واخْنُقْهُ) اهـ .

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

"وقرأت بخط الشيخ الموفق قال : سمعنا درسه -أي ابن أبي عصرون - مع أخي أبي عمر وانقطعنا ، فسمعت أخي يقول : دخلت عليه بعد ، فقال : لم انقطعتم عني ؟ قلت : إنّ أناساً يقولون : إنك أشعري ، فقال : والله ما أنا أشعري. هذا معنى الحكاية " اهـ.

وعن مالك رحمه الله تعالى قال :

"لا يؤخذ العلم عن أربعة : سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس ، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه ، ومن يكذب في حديث الناس ، وإن كنت لا أتهمه في الحديث ، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به ".

فيا أيها الطلب! إذا كنت في السعة والاختيار ؛ فلا تأخذ عن مبتدع : رافضي ، أو خارجي ، أو مرجئ ، أو قدري ، أو قبوري ، وهكذا ، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال - صحيح العقد في الدين ، متين الإتصال بالله ، صحيح النظر ، تقفو الأثر - إلا بهجر المبتدعة وبدعهم.

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على البدعة ، ومنابذة المبتدعة ، والابتعاد عنهم ، كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض ، ولهم قصص وواقعيات يطول شرحها ، لكن يطيب لي الإشارة إلى رؤوس المقيدات فيها :

فقد كان السلف رحمهم الله تعالى يحتسبون الاستخفاف بهم ، وتحقيرهم ورفض المبتدع وبدعته ، ويحذرون من مخالطتهم ، ومشاورتهم ، ومؤاكلتهم ، فلا تتوارى نار سني ومبتدع.

و كان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع فينصرف ، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩ هـ) رحمه الله تعالى ، انصرافه عن الصلاة على مبتدع.

وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم ، وينهى عن حكاية بدعهم ، لأنّ القلوب ضعيفة ، والشبه خطافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة. للمبتدع عند الاضطرار ، لأنه باغ ، لقول الله تعالى : (فمن اضطر غير باغ) الآية ، فهو باغ ببدعته.

وكانوا يطردونهم من مجالسهم ، كما في قصة الإمام مالك رحمه الله تعالى مع من سأله عن كيفية الاستواء ، وفيه بعد جوابه المشهور:"أظنك صاحب بدعة "، وأمر به، فأخرج.

وأخبار السلف متكاثرة في النُّفرة من المبتدعة وهجرهم ، حذراً من شرهم ، وتحجيما لانتشار بدعهم ، وكسرا لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع ، ولأنّ في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي – والعامي : مشتق من العمى ، فهو بيد من يقوده غالباً.

ونرى في كتب المصطلح ، وآداب الطلب ، وأحكام الجرح والتعديل : الأخبار في هذا. فيا أيها الطالب ! كن سلفيا على الجادة ، واحذر المبتدعة أن يفتنوك ، فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلا ، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول – وهو : (عسل) مقلوب - وهطول الدمعة ، وحسن البزة ، والإغراء الخيالات ، والإدهاش بالكرامات ، ولحس الأيدي ، وتقبيل الأكتاف ، وما وراء ذلك إلا وحم البدعة ، ورهج الفتنة ، يغرسها في فؤادك ، ويعتملك (قال الشيخ مصححا: و يَعْتَمِلُكَ) في شراكه ، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم. أما الأخذ عن علماء السنة ، فالعق العسل ولا تسل. وفقك الله لرشدك ، لتنهل من ميراث النبوة صافياً ، وإلا فليبك على الدين من كان باكياً.

وما ذكرته لك هو في حالة السعة والاختيار ، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك ، فاحذر منه ، مع الاستعاذة من شره ، باليقظة من دسائسه على حد قولهم :"اجن الثمار وألق الخشبة في النار " ، ولا تتخاذل عن الطلب ، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف ، فما عليك إلا أن تتبين أمره وتتقى شره وتكشف ستره.

ومن النتف الطريفة أنّ أبا عبد الرحمن المقرئ حدّث عن مرجئ ، فقيل له : لم تحدث عن مرجئ ؟ فقال:"أبيعكم اللحم بالعظام ". فالمقرئ رحمه الله تعالى حدث بلا غرر ولا جهالة إذ بين فقال:"وكان مرجئاً ".

وما سطرته لك هنا هو من قواعد معتقدك ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، ومنه ما في "العقيدة السلفية " لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٤٤٩ هـ)، قال رحمه الله تعالى :

ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه ، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم ، ولا يسمعون كلامهم ، ولا يجالسونهم ، ولا يجادلونهم في الدين ، ولا يناظرونهم ، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالأذان ، وقرّت في القلوب ؛ ضرّت وجرّت

إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرّت ، وفيه أنزل الله عز وجل قوله :"وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره " أ هـ.

وعن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له : صبيغ ، قدم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ؟ فأرسل إليه عمر رضى الله عنه وقد أعدّ له عراجين النخل ، فقال : من أنت ؟ قال أنا عبد الله صبيغ ، فأخذ عرجوناً من تلك العراجين ، فضربه حتى دمى رأسه ، ثم تركه حتى برأ ثم عاد ثم تركه حتى برأ ، فدعي به ليعود ، فقال : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن : لا يجالسه أحد من المسلمين. [رواه الدارمي].

وقيل: كان متهماً برأي الخوارج.

والنووي رحمه الله تعالى قال في كتاب "الأذكار " :

"باب : التّبرّي من أهل البدع والمعاصي ".

وذكر حديث أبي موسى رضى الله عنه:"أنّ رسول الله صلي الله عليه وسلم برئ من الصالقة ، والحالقة ، والشاقة ". متفق عليه. وعن ابن عمر براءته من القدريّة. رواه مسلم.

والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها ، وعلى هذا تتنزل المشروعية من عدمها ، كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع.

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون ، إذا قلّ العلم ، وفشا الجهل. وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"فإنّ هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها ، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال ، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال " أ هـ.

فإذا اشتد ساعدك في العلم ، فاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان ، والسلام.

هذا فصل مهم من فصول هذه الرسالة هجر المبتدع وعدم التلقي عنه ، والمؤلف له رسالة في الباب هجر المبتدع.

نشير إلى شيء من القواعد المتعلقة بهذا الأدب ، الأمر الأول والقاعدة الأولى أنّ البدعة تؤثر على ذهن الإنسان فلا يتمكن من التمييز والفهم كما يتمكن صاحب السنة وصاحب المعتقد الصحيح وذلك لأمور :

الأمر الأول : أنّ الفهم والعلم فيه إمداد من الله عز وجل لبعض عباده ، فالله عز وجل يزيد بعض العباد فهما وعلما على غيرهم ، وكلما قرب الإنسان من السنة وابتعد عن البدعة كلما كان فهمه أكثر.

الأمر الثاني : أنّ أهل السنة عندهم طمأنينة وسكون ، وبالتالي فاضطراب النفس ليس موجودا عندهم ، واضطراب النفس يغطي بعض قدرة الإنسان على العلم والتعلم ، ولذلك فنحن نختار أهل السنة لما لديهم من اليقين والطمأنينة والسكينة.

الأمر الثالث : أنّ العلوم يرتبط بعضها ببعض ، والمسائل يرتبط بعضها ببعض ، فعندما تأتي للمبتدع قد لا يثير إليك البدعة لكنه يتحدث في أثر من آثارها ، وبالتالي تظن انقطاع الصلة بين هذه المسألة ومسألة البدعة ، بينما بينهما ترابط ، أضرب لهذا مثلا في أصول الفقه : عندما يأتيك ويبحث لك مسألة : هل الأمر بالشيء نهي عن ضده ، فيأتيك المعتزلي ويقول : الأمر بالشيء ليس نهيا عن ضده ويستدل ولا يذكر منشأ مخالفته ، وهو أنهم يقولون بأنّ الأمر تشترط له الإرادة يعني الإرادة الكونية ، بناء على مذهبهم في القدر لنفي خلق الله لأفعال العباد ، ويأتيك الأشعري في هذه المسألة ويقول : الأمر بالشيء نهي عن ضده من جهة اللفظ ، بناء على بدعتهم في قولهم الكلام هو المعاني النفسية ، بينما مذهب أهل السنة والجماعة يقولون : أنّ الأمر بالشيء نهي عن ضده من طريق المعنى وليس من طريق اللفظ ، فعندما تذهب إلى العالم المبتدع فتدرس عليه هذه المسألة لا يشير إلى الأساس العقدي لها فمن ثَمّ تنطلي عليك المسألة ، هكذا أيضا في مبحث النحو ، هناك مسائل نحوية لها علاقة بمباحث عقدية ، عندما تأتي إلى نحوي مبتدع قد يأتيك بأثر البدعة وتنطلي عليك ولا يذكر لك أساس البدعة ومن هنا لا تربط بين الأساس والأثر ، والنحو فيه مسائل كثيرة مبنية على أمور عقدية ، مثال ذلك يقول القائل : النفي بلن أو لن تدل على النفي المؤبد ، حرف لن يدل على النفي المؤبد ويقرر لك هذا الأمر ويمثل له بقوله تعالى مثلا : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ، ويقول : هذا للنفي المؤبد فتنطلي عليك وتستقر في نفسك حتى إذا جاءك قول الله تعالى : (قَالَ لَنْ تَرَانِي) نفيت الرؤيا في الدنيا والآخرة ، من أين نشأ هذا؟ من استقرار المعلومة في ذهنك التي أخذتها من هذا المبتدع.

الأمر الرابع : أنّ في أخذ الناس عن المبتدع رفعا لشأنه عندهم ، ومن ثَمّ يُقْبل الناس عليه فيأخذوا ما لديه من غث وسمين ، صحيح أنت لم تدرس عنده إلا النحو ، لكنك بدراستك عنده وضعت له مكانة فأقبل الناس عليه فدرسوا المعتقد والأصول والفقه والنحو عنده ، فحينئذ تكون سببا في ضلال غيرك لأخذه من هذا المبتدع.

الأمر الخامس : أنّ ارتباطك بالمبتدع ودراستك عليه يجعل الناس ينسبونك إلى تلك البدعة التي عند هذا المعلم ، صحيح أنت لم تدرس عنده إلا هذا العلم ، لكنّ الناس شاهدوك عنده وشاهدوك تتعلم منه ، فحينئذ نفروا منك ، لأنهم يظنون أنّ البدعة التي عند الشيخ انتقلت إليك ، والبدعة أخف من الشرك ، فإذا كان هذا التحذير من المبتدع

فالتحذير من أهل الشرك من باب أولى ، فإذا وجد من يعرف النحو لكنه يصرف العبادة لغير الله ، ويذهب إلى الولي ويدعوه من دون الله فهذا أولى بالهرب منه ، ولا يصح أن يجعل له مكانة ومنزلة ، والبدعة : هي الطريقة المخترعة في الدين بأن ينسب إلى الدين ما ليس منه ، وقد تكون البدعة في المعتقد وهي أشد ، وقد تكون في العمل.

قال المؤلف : (احذر أبا جهل المبتدع) لأنّ المبتدع إنما نشأ ابتداعه من أمور من الجهالات: إما بتأخير النصوص وعدم تحكيمها ، أو لكونه يتحكم في الأخذ من النصوص بما يراه ، فهو ينتقي من النصوص ما يوافق بدعته ، و لا يجعل اعتقاده تابعا للنص ، ثم هو أيضا ثالثا : يحرف دلالات النصوص لتتوافق مع بدعته ، وهذا كله جهل؛ إما جهل بسيط أو جهل مركب ، والجهل البسيط ألا يكون لديك معلومة لا بإثبات ولا بنفي ، زيد خلف الجدار تقول : لا أعلم هذا جهل بسيط ، والجهل المركب أن يكون علمك مخالفا للواقع ، كما لو قلت : زيد خلف الجدار ، قال : نعم خلف الجدار وهو ليس كذلك ، هذا جهل مركب ، والمبتدعة لا يخلون من أحد هذين الجهلين.

قال : (مسه زيغ العقيدة) الزيغ : هو الميلان قال تعالى : (فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ) ، (و غشيته سحب الخرافة) ، الخرافة : هي الأدلة غير الصحيحة ، ويقولون : أنّ منشأ الخرافة رجل بهذا الاسم كان يحدث أنّ الجن أخذوه ووقع ما وقع بينه وبينهم من حوادث ووقائع فكان يروي أحوالهم ووقائعهم ، فسمي كل كلام غير مقبول بهذا الاسم يقال : حديث خرافة.

قال : (يحكم الهوى) يعني يقدم ما ترغبه نفسه أو ما يراه بعقله ويسمي هذا الهوى الذي في قلبه يسميه (العقل) ، وهو ليس من العقل في شيء ، (ويعدل عن النص) والعقل في النص ، ومن جاء بكلام يقول : العقل يخالف النص فإنّ كلامه جهل وليس بعقل ، ولذلك صاحب الهوى إذا ورد عليه الدليل الضعيف الذي يوافق هواه أخذ به ، وإذا ورد عليه الدليل القوي الذي يخالف هواه تركه وأوله وحرفه ، وهؤلاء يقال لهم : (أهل الشبهات) لأنّ الشياطين ألقت في قلوبهم الشبهات ظنوها معقولات فجعلتهم يتركون النصوص ، ويسميهم أهل السنة ؛ أهل السنة يسمون هؤلاء (أهل الأهواء) لأنهم يقدمون هواهم عل مدلول النصوص ، وكان ابن المبارك يسميهم (الأصاغر).

ذكر المؤلف أنّ الناس منهم من يقول الحجة في المطالب العقدية العقول ويقصد ما يراه بعقل نفسه ، فهذا مبتدع ولا يقولن قائل : كيف تردون دلالة العقل ، لأننا لا نرد دلالة العقل الصحيحة ، وإنما هو يريد أن يجعل قناعاته هي العقل ، بينما ما في عقله يمكن أن يكون فيه شبهة أوردته للخطأ في المعتقد ، ويمكن أن تكون الشياطين ألقت في عقله وساوس جعلته يبتعد عن الحق ، ويمكن أن يكون قد خفيت عليه بعض أوجه الحق لخفاء دليله ، وظن أنّ ما لديه هو العقل.

وإذا جاءك أهل التصوف و قالوا : نسير على الذوق والوجد والإلهام وما يلقيه الله في قلوبنا ، هؤلاء أيضا مبتدعة فإنّ الشياطين تلقي في قلوبهم وساوس يظنونها إلهاما ، وقد يأتيهم

الشيطان ويقول : أنا ملك فيأخذون منه ، و حينئذ احذر من عدوك الشيطان لأنه قد يلقي في قلبك و في عقلك وساوس تظنها أدلة وعقليات و يقينيات ، وما هي إلا جهالات ، ومن هنا ينبغي أن تتخذ الأسباب التي تجعلك ما تستجيب لوساوس الشيطان. أما كلام الذهبي فيقول: (إذا رأيتَ المتكلِّمَ المبْتَدِعَ يَقولُ: دَعْنَا من الكتابِ والأحاديثِ وهاتِ (العَقْلَ) . فاعْلَمْ أنه أبو جَهْلٍ) وليس أبا علم ، بل هو جاهل. (فإن جَبُنْتَ منه فاهْرُبْ) يعني إن عجزت أن تجادله وتناظره فاهرب، لأن هذه هي الحكمة وإلا كنت تستطيع أن تجادله وتفحمه فاصرعه، صرعا حسيا أو معنويا؟ نرى (وإلا فاصْرَعْهُ وابْرُكْ على صَدْرِه) هذا يدل على أنه حسي.

(واقْرَأْ عليه آيةَ الكُرْسِيِّ) -حتى يخرج الشيطان- (واخْنُقْهُ) .

الإنسان يسمع كلام الذهبي رحمه الله هذا في ظني أنه إذا صرعه ثم برك على صدره ثم قرأ عليه آية الكرسي ثم خنقه، سينجو، لأن الشيطان خنقه حينئذ شديدا وقويا، ولكن على كل حال الظاهر أن الشيخ رحمه الله -الذهبي- قد أصابه ما أصابه من هؤلاء، والمعافى من عافاه الله منه.

وقالَ أيضًا رَحِمَه اللّهُ تعالى: (وقرأتُ بخطِّ الشيخِ الموَفَّقِ قالَ: سَمِعْنَا دَرْسَه - أي: ابنِ أبي عَصْرونَ - مع أخي أبي عُمرَ وانْقَطَعْنَا، فسمعتُ أَخِي يقولُ: دَخَلْتُ عليه بَعْدُ، فقالَ: لم انْقَطَعْتُم عَنِّي؟ قلتُ: إنَّ ناسًا يَقولون: إنك أَشْعَرِيٌّ. فقالَ: واللهِ ما أنا أَشعريٌّ. هذا معنى الْحِكايةِ) اهـ.

يعني يستفاد منه أنه لا ينبغي أن تجلس إلى مبتدع ولو كانت بدعته خفيفة كبدعة الأشعريين.

الإمام مالك يقول : (أربعة لا يؤخذ العلم عنهم) أولهم : (سفيه) وهو الذي يتصرف بتصرفات غير محسوبة النتائج ولا يفكر في عواقب تصرفاته وإن كان أروى الناس ، وكذلك لا يؤخذ العلم عن (صاحب بدعة يدعو إلى هواه) إذ قد يلتصق بنفسك ما عنده من بدعة ، و كذلك لا يؤخذ العلم من (الكذاب الذي يكذب في حديث الناس) ، وإن كان لا يكذب في الحديث النبوي أو في العلم ، لأنّ من تجرأ على الكذب على الناس قد يتجرأ على الكذب في الأحكام الشرعية ، كذلك من كان (سيئ الحفظ) فإنه لا يؤخذ منه ولو كان عابدا فاضلا صالحا.

المؤلف قال : في زماننا هذا الناس على صنفين ، طلبة العلم على صنفين :

<u>الصنف الأول :</u> من كان يختار مشايخه ، فهذا يوصى بأن لا يأخذ العلم عن مبتدع ، واستند المؤلف في هذا إلى كلام الأئمة في التحذير من المبتدعة والتحذير من الاقتراب منهم والتوجيه بمنابذتهم والابتعاد عنهم ، وكان السلف يحتسبون تحقير أهل البدع ويحذرون من مخالطتهم ومآكلتهم ، وذكر المؤلف أنّ الشيخ محد بن إبراهيم ترك الصلاة على مبتدع ، والصلاة على أصحاب المعاصي والذنوب والبدع يشرع أن يتركها أهل الفضل والمكانة من

أجل أن يحذر الناس مما لدى هؤلاء من المعاصي والبدع ، فقد ترك النبي ﷺ الصلاة على قاتل نفسه ، وعلى الغال ، وعلى من عليه دين ، و أذن لأصحابه بأن يصلوا عليه من أجل أن يحذر الناس من فعل هؤلاء ، ذكر المؤلف رأي سهل بن عبد الله التستري في أكل المضطر المبتدع من الميتة ، وهذا اجتهاد منه رحمه الله وقد لا يوافقه غيره في هذا ، وقد أمر الإمام مالك بإخراج من سأل عن كيفية الإستواء ، الفائدة من هذا قال المؤلف : حذرا من شرهم لئلا يقع في نفسك شيء من بدعهم بدون أن تشعر.

و ثانيا : تحجيما لانتشار بدعهم لأنّ الناس إذا رفعوه بدؤوا يأخذون منه في بقية العلوم فانتشرت البدع التي لديهم.

قال ثالثا : كسرا لنفوسهم بحيث لا يصبح لهم مكانة ولا منزلة فمن ثَمّ لا يتمكنون من نشر البدع.

ورابعا : هربا من تزكية المبتدعة خصوصا عند المبتدئين.

ثم بعد ذلك قال : (كن سلفيا على الجادة و احذر المبتدعة أن يفتنوك فإنهم يوظفون للاقتناص والمخاتلة سبلا) يريدون أخذ طلاب العلم و إبعادهم عن طريق السلف ، وبالتالي قد تجد عندهم كلام طيب لين سهل من أجل اقتناصك قال : (وهو عسل مقلوب) ، يعني لسع ، كلامهم عسل في الظاهر لكن في حقيقته مقلوب يعني لسع ، وقد يظهرون لك هطول الدمعة ، وحسن الثياب ، والإغراء بالكلام البلاغي ، وقد ينقلون روايات عن الكرامات ونحو ذلك ، فلا تغتر بهؤلاء ، ثم ذكر (أما الأخذ عن علماء السنة فالعق العسل ولا تسل) لأنّ عندهم ميراث النبوة قد أخذوه والسنة والتوحيد.

القسم الثاني : من كان في دراسة نظرية ، وبالتالي يُلزَم بأن يدرس على هذا المبتدع ، فحينئذ يدرس الإنسان عليه وينتقي معلوماته ويقارنها ويتيقظ من دسائسه ، ولا يقول الإنسان : سأتوقف عن التعلم من أجل هذا المبتدع ، لأنّ هذا يخُشى من أن يكون من (التولي يوم الزحف).

ثم ذكر المؤلف ما يتعلق بالحديث عن المرجئ ، قال أبو عبد الرحمن المقرئ : لما لا تحدث عن مرجئ ، قال : أبيعكم اللحم بالعظام ، يعني أترك اللحم الذي تستفيدون منه ثم أحدثكم بالعظام ، وذكر المؤلف نقلا عن الصابوني فيما يتعلق بمعتقد أهل السنة والجماعة بمثل هذا وجماعة من الصحابة والتابعين.

ثم ذكر كلام قال : (المبتدعة إنما يكثرون ويظهرون إذا قلّ العلم وفشا الجهل) ولذلك يجب علينا أن نحتسب الأجر في بث العلم وتعليم الناس من أجل أن ننفي هذه البدع ، قال شيخ الإسلام : (فإنّ هذا الصنف) يعني أهل البدع ، (يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها ، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال ، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال) ، (فإذا اشتد ساعدك في العلم) واستفدت العلم ، فقم (بقمع البدع) وبيان مخالفتها للشرع ، وإذا أمكن ألا تقيم

للمبتدع وزنا بعدم ذكر اسمه فهو أولى وأحسن ، لأنّ ذكر الموحد للمبتدع يرفع من شأنه ، هل تعرفون حفص الفرد ؟ ، هل تعرفون بشر المريسي ؟ هؤلاء مبتدعة ذكر الأئمة أسماءهم فعُرفت واشتهرت ، حتى لو بحثت عن ترجمة هؤلاء ما تجد لهم ترجمة ، هناك مبتدعة كثر لم يُلتفت إليهم ، ولم يتكلم الأئمة بأسمائهم فلم يكن لهم ذكر ولا تاريخ ، ولذلك إذا كان المبتدع يمكن إهماله وعدم ذكر اسمه فهو أولى ، نأخذ ما لديهم من البدع فنكشفها ونبين زيفها ونبين المعتقد الصحيح في مثل ذلك ، وبذلك نكون قد رددنا الهدف الذي يقصدون ، وكم من شخص يتكلم بالبدعة من أجل أن يشتهر ويُعرف فعامله بنقيض قصده بإهماله وعدم ذكر اسمه.

الفصلُ الرابعُ (أَدَبُ الزَّمَالةِ)

٢٣-احْذَرْ قَرِينَ السَّوءِ :

كما أَنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ فإنَّ (أَدَبَ السَّوءِ دَسَّاسٌ) إذالطَّبيعةُ نَقَّالَةٌ ، والطِّباعُ سَرَّاقَةٌ ، والناسُ كأسرابِ الْقَطَا مَجْبولون على تَشَبُّه بعضِهم ببعضٍ ، فاحْذَرْ مُعاشَرَةَ مَن كان كذلك ؛ فإنه العَطَبُ ، (والدفْعُ أَسْهَلُ من الرفْعِ).

وعليه فتَخَّير للزَّمالةِ والصداقةِ مَن يُعينُك على مَطْلَبِكَ ، ويُقَرِّبُك إلى رَبِّكَ ، ويُوافِقُكَ على شَريفِ غَرَضِكَ ومَقْصِدِكَ ، وخُذْ تَقسيمَ الصديقِ في أَدَقِّ الْمَعاييرِ :

صديقُ مَنْفَعَةٍ .

صديقُ لَذَّةٍ .

صديقُ فَضيلةٍ.

فالأَوَّلان مُنقَطِعان بانْقِطاعِ مُوجِبِهما ؛ الْمَنْفَعَةِ في الأَوَّلِ ، واللَّذَّةِ في الثاني .

وأَمَّا الثالثُ فالتعويلُ عليه ، وهوالذي باعِثُ صداقتِه تَبادُلُ الاعتقادِ في رُسوخِ الفَضائلِ لدَى كلٍّ منهما .وصديقُ الفَضيلةِ هذا (عُمْلَةٌ صَعبةٌ) يَعِزُّ الْحُصولُ عليها .

ومن نَفيسِ كلامِ هِشامِ بنِ عبدِ الملكِ (م سنة١٢٥هـ) قولُه : (ما بَقِيَ من لَذَّاتِ الدنيا شيءٌ إلا أَخٌ أَرْفَعُ مَؤُونَةَ التحَفُّظِ بَيْنِي وبَيْنَهُ) اهـ .

ومن لَطيفِ ما يُقَيَّدُ قولُ بعضِهم : (العُزْلَةُ من غيرِ عَيْنِ العِلْمِ زَلَّةٌ، ومن غيرِ زايِ الزُّهْدِ عِلَّةٌ) .

هذا هو الأدب الثالث والعشرون لطالب العلم.

اختيار القرين الذي يعين الإنسان في طلب العلم ، والبعد عن قرين السوء ، الذي يُشغل الإنسان عن طلب العلم ، وقد جاءت النصوص الشرعية بالترغيب في اختيار قرناء صالحين يعينون الإنسان على الخير.

كما جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "مثل الجليس الصالح كحامل المسك إما أن يُحذيك ، وإما أن تبتاع منه –يعني تشتري- ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ومثل الجليس السوء كمثل نافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحا خبيثة"

وفي سنن أبي داود أنّ النبي ﷺ قال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"

وقد قال جل وعلا: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)

ومن هنا جاءت الشريعة في الترغيب في اختيار الأصدقاء الطيبين ، والمرء يستفيد من اثنين في مسألة القدوة:

من يراه مثلا له فحينئذ يقتدي به ، ومن هنا جاءت الشريعة بالأمر بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

وكذلك فيما يتعلق بالأصدقاء ؛ فإنّ الصديق يُؤخذ من أخلاقه من حيث لا يشعر المرء ، والناس عندما يتعاونون على الحق والخير يجتمعون على ذلك ، وإذا انعزل الإنسان ولم يجد له معاونا على الخير قد تضعف نفسه ، لكن إذا وجد أخا له كلما ضعفت نفس أحدهما ، قوّته القوّة الموجودة في نفس الآخر ، وبالتالي يؤدّون ويستمرون على العمل الصالح.

ومن ذلك طلب العلم ، فإنّ النفس ملولة، فإذا وجدت طالبا يعينك على طلب العلم ، حينئذ كلما ملّت نفسك انتقلت إلى زميلك ليقوم بتنشيط نفسك على طلب العلم ، ثم إنّ إبقاء النفس على حال واحدة يجعلها تملّ ، وذلك أنّ المرء إذا قرأ وحده وذاكر وحده تمل نفسه ، فإذا وجد أصدقاء خير يذاكر معهم ، مرة يذاكر وحده ، فإذا ملّت النفس انتقل إلى قرنائه فذاكر معهم.

قال المؤلف: (فإنّ العرق دسّاس) يعني أنّ العرق ولو كان خفيا فإنه يسحب ويؤثر على ما يرتد إليه ذلك العرق ، وقد ورد هذا في حديث كثير من أهل العلم يقولون بأنه لا يعوّل عليه ، وهذا في الزوجة ، أنّ النبي ﷺ أمر باختيار الزوجة التي في منبت طيب ، وذكر أنّ العرق دسّاس ، لكن أهل العلم يقولون بأنّ هذا خبر لا يعوّل عليه.

قال: (فإنّ أدب السوء دساس) يعني أنّ صديق السوء سيؤثر على صديقه.

قال: (إذ الطبيعة نقالة) يعني أنّ الطبائع والأخلاق تنتقل من شخص إلى شخص.

(والطباع سراقة) يعني أنّ النفوس تقتدي بمن حولها ، وتفعل مثل أفعالها ، ولو من حيث لا تشعر.

(والناس مجبولون على تشبه بعضهم ببعض فاحذر معاشرة من كان كذلك) يعني من كان سيئا.

(فإنه العطب) يعني سبب الهلاك ، دنيا وآخرة ، والدفع بترك صحبة هؤلاء ، أسهل من الرفع ؛ الذي هو مصاحبتهم ثم قطع تلك الصحبة.

فقبل أن تصاحبهم امنع نفسك من مصاحبتهم ، فإنّ نفسك إذا تعلقت معهم ، قد تعجز عن قطع تلك الصحبة.

ونضرب لذلك أمثلة :

المثال الأول: أصحاب المخدرات والخمور ، إذا صاحبهم الإنسان ، فإنهم سيجرّونه إلى فعلهم شيئا فشيئا ، حتى يُبتلى بهذا الأمر ، ويكون مماثلا لهم ، وإن كان في الأول يقول : لن أقدم على فعل هذه الأمور، لكنه مع الزمن تضعف نفسه قليلا قليلا.

مثال آخر : أصحاب المعاصي ، فإنهم يجرّون صاحبهم على معاصيهم كالفواحش ، والنظر في وجوه النساء والتلذذ بالحديث معهن ، فإنّ من صاحب من كان كذلك أصبح مثلهم.

(وعليه) يعني بناء على ما سبق.

(فتخيّر للزمالة والصداقة من يُعينك على مطلبك) يعني على الهدف الذي تقصده.

(ويقرّبك إلى ربك) بحيث يكون معينا لك على طاعة الله ، ومن أعظم أنواع الطاعة كما سبق طلب العلم.

فاختر الصديق الذي يعينك على التقرب إلى رب العزة والجلال ، بأن يكون معينا لك على طلب العلم ، وبالتالي تتوافق الأهداف عندك وعنده ، أما إذا كان يهدف لشيء وأنت تهدف إلى شيء آخر ، فحينئذ لن يكون بينكما تلك الألفة ، إلا أن تنجرف إلى غرضه ، أو ينجرف إلى مقصدك.

ثم قسم المؤلف الأصدقاء إلى ثلاثة أقسام :

(الأول: صديق المنفعة) مثال ذلك ؛ شخص بينك وبينه تجارة ، هذا صديق منفعة، فحينئذ هذه الصداقة لا حرج على الإنسان فيها ، لكنها مرتبطة بهذه المنفعة إذا انقطعت التجارة انقطعت تلك الصحبة ، وهذا ليس من المحبة الإيمانية في شيء.

النوع (الثاني : صديق لذّة) كمن اجتمعوا على جلسة ، أو على لعب ، أو على لهو ، هؤلاء أصدقاء لذّة ، إذا كان عندهم لذّة أو ملّوا منها انقطعت صداقتهم ، وقد تكون تلك اللّذة لذّة مباحة ، وقد تكون لذّة محرمة فيعظم الإثم بها.

وقطع تلك الصداقة أولى للعبد في دنياه وآخرته ، لأنها وإن كانت لذّة مباحة ، إلا أنها تضيّع وقت العبد ، وتشغله عن الهدف الذي خلق من أجله.

(النوع الثالث: صديق الفضيلة) وهو الذي اجتمعت معه على اكتساب فضائل سواء كانت تلك الفضائل ؛ فضائل عملية ، كاجتماعهم على صوم أو صلاة أو اعتكاف في مسجد أو نحو ذلك ، أو كانت فضائل علمية ، كطلب علم عند شيخ أو عالم.

فالصديقان الأولان تنقطع صداقتهما بانقطاع موجب تلك الصداقة ، أي موجِب بكسر الجيم هو السبب ، بينما الموجَب بفتح الجيم هو الأثر ، فالموجِب بكسر الجيم هو السبب ، والموجَب بفتح الجيم هو الأثر ، فإذا انقطعت المنفعة عند الأول انقطعت الصداقة ، وإذا انقطعت اللذة عند الثاني انقطعت الصداقة ، والصداقة فيهما ليست من أسباب الأجر والثواب ،

أما الثالث فالتعويل عليه وبمجرد تلك الصداقة يحصل الأجر العظيم ، وقد جاء في الحديث : "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم : رجلين تحابّا في الله اجتمعا عليه –يعني على الله محبة وإيمانا ليعين بعضهما بعضا على طاعة الله- رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه" يعني لمّا جاءهما سبب التفرق كانا على المحبّة الإيمانية الأولى ، وهذا التفرّق قد يكون في سفر وقد يكون في موت وقد يكون بسبب آخر من الأسباب.

قال : (وأما الثالث فالتعويل عليه ، وهو الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما) فالسبب في هذه الصداقة رغبة كل منهما أن يتبادلا في الخير ، وأن يعين بعضهما بعضا في رسوخ الفضائل.

وقد جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل : "وجبت محبتي للمتحابّين فيَّ ، والمتزاورين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ"

قال: (وصديق الفضيلة هذا "عملة صعبة") يعني أننا لا نجدها في كل وقت، وأنها عسيرة الحصول.

(يعز الحصول عليها) يعني يندر.

ثم جاء بكلام الخليفة هشام بن عبدالملك :

(ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ أرفع مؤونة التحفظ بيني وبينه)

قال المؤلف : (العزلة من غير عين العلم زلة) كلمة العزلة ، يعني انفراد الإنسان وحده ، إذا حُذِفت منها العين أصبحت زلة ، ولذلك إذا اعتزل لابد منه أن يكون معه علم.

كذلك كلمة العزلة ؛ إذا حُذِف منها الحرف الثاني وهو الزاي ، زاي الزهد ، أصبحت علة ، فالعزلة لابد فيها من علم وزهد.

أما إذا انعزل الإنسان وحده وكان غير عالم ، أصبح عنده جهل ، ومن ثَمّ يؤدّي ذلك إلى ضلال بكونه يتقرّب إلى الله بطرائق جاهلية، بطرائق الجهّال.

وكذلك العزلة وانفراد الإنسان وحده إذا لم يكن معه زهد فإنه مرض ، وهو سبب من أسباب الأمراض النفسية التي ترد على الإنسان.

والعزلة في الأصل غير محمودة وغير مرغوب فيها ، فإنّ النبي ﷺ كان يخالط الناس فينصح ، ويعلّم ، ويعطي ، ويتكرّم ، ويفعل الخير مع غيره. نعم.